مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 11 العدد 1، 2014، ص ص 611- 648

الأسرار البيانية في حذف المفعول به في سورة طه

زكريا علي الخضر *

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أسلوب حذف المفعول به في سورة طه، وعرض الدقائق البلاغية في هذا النوع من الحذف، وتظهر تناسق هذا الأسلوب المجازي مع نظم القرآن وانسجامه واتساقه مع أهداف السورة وموضوعاتها.

وقد كشفت الدراسة عن أسرار النظم القرآني في هذا النوع من المجاز، كما أبرزت الدلالات اللغوية والقيم النفسية والاجتماعية المنضوية في ثنايا هذه الظاهرة الأسلوبية.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فإن القرآن الكريم ميدان عظيم للدراسة والبحث؛ لما حواه من جمال اللفظ والمعنى اللذين يجلان عن الوصف، وقد آثرت أن اختار أسلوباً من الأساليب البليغة في النظم القرآني ألا وهو حذف المفعول به، ولما كانت هذه القضية الأسلوبية موجودة في القرآن بكثرة آثرت أن أدرسها في سورة من القرآن، كثر فيها هذا النوع من الحذف، وهي سورة طه.

على أنه ينبغي الإشارة إلى أن ثمة قضايا في الحذف اشتملت عليها هذه السورة الكريمة، منها ما يتعلق بالجمل، وقد دل على ذلك الفاء الفصيحة في نحو قوله تعالى {فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى} (طه: 60)، فإن هذه الفاء طوت جملا تفهم من سياق الكلام، وكذا في قوله تعالى: {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا} (طه:70)، ومنها ما يتعلق بالمفرد كنحو حذف المفعول المطلق في قوله تعالى: {كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً {33} وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً} (طه:33-34) {فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا} (طه: 64)، وحذف الفاعل من نحو قوله تعالى: {قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى} (طه:36) وقوله تعالى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} (طه:39)، وقوله تعالى: {يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ} (طه:102)، وغيرها، إلا أن الشأن الأبرز والأمر الملحوظ بشكل واضح مما يتعلق بحذف المفاعيل هو حذف المفعول به.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2014.

* قسم أصول الدين، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

ومما دفعني للاهتمام بهذا الأسلوب البليغ في هذه السورة الكريمة، أن الدراسات لم تتناول هذا الموضوع تفصيلا وبيانا، حيث إن بعض الدراسات أشارت إليه إشارة سريعة من دون التوقف عند حدوده العميقة ومزاياه البلاغية، يقول الدكتور إبراهيم عوض: (وفي سورتنا عدد من الأفعال المتعدية أتت مطلقة من دون ذكر مفعولها، ومعظمها وقع في أواخر الآيات فواصل، {إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى} (طه:3)، {لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} (طه:44) {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} (طه: 46)، {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (طه: 50)، {لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى} (طه:52)، {فَكَذَّبَ وَأَبَى} (طه: 56)، {وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى} (طه:61)، {إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى} (طه:65)، {قَالَ بَلْ أَلْقُوا} (طه: 66)، {وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى} (طه: 79)، {فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ} (طه:87)، {فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ} (طه:88)، {فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى} (طه:116)، {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} (طه: 122)، ولعله لوحظ أن بعض الأفعال التي استخدمت على هذا النحو قد تكررت في السورة) [1].

وقد قمت بدراسة هذا الموضوع من ناحيتين: **الناحية الأولى:** الجانب النظري؛ حيث بينت فيه معنى الحذف، وتعريف المفعول به وأقسامه وأسباب حذفه نحويا.

والجانب الثاني: استقراء هذه الظاهرة الأسلوبية في السورة الكريمة، حيث قمت بدراسة المواطن التي حذف فيها المفعول به في سورة طه، وراعيت في هذا الجانب سياق الآيات التي ورد فيها حذف المفعول به، مع التركيز على القضايا البيانية، والقيم النفسية التي أبرزها هذا الأسلوب القرآني، مستنيراً بأقوال المفسرين وأهل العلم، مبدياً الرأي فيما يظهر لي لدى تأمل الآيات والنظر في بيانها.

وقد اقتضى البحث أن أقسمه إلى مبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

المبحث الأول: تعريف الحذف والمفعول به، وبيان أقسام المفعول به، وبيان مواطن حذفه نحويا، وفيه أربعة مطالب هي:

المطلب الأول: تعريف الحذف لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: تعريف المفعول به.

المطلب الثالث: أقسام المفعول به.

المطلب الرابع: أسباب حذف المفعول به من ناحية نحوية.

المبحث الثاني: الأسرار البيانية في حذف المفعول به في سورة طه، وفيه اثنان وعشرون مطلباً على النحو الآتي:

المطلب الأول: حذف المفعول به للفعل (يخشى) للتركيز على الفعل في قوله تعالى: {طه{1} مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى {2} إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى {3} تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى}(طه: 1-4).

المطلب الثاني: حذف المفعول به للفعل(أهش) رعاية **لمقام الأدب في الخطاب في قوله تعالى:** {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى {17} قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} (طه:17-18).

المطلب الثالث: حذف المفعول به للفعل (يتذكر) وللفعل(يخشى) لإبراز العناية بالفعل، وبيان أنه هو المقصود بالذات في قوله تعالى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى {44} قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى **(طه:44-45).**

المطلب الرابع: حذف المفعول به في(لا تخافا) و(أسمع وأرى) لتوطين النفس، وتثبيت القلب، وبيانا لعناية الله تعالى بسيدنا موسى وأخيه – عليهما السلام- في قوله تعالى: {قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} (طه:46).

المطلب الخامس: حذف المفعول به للفعل (كذَّب) وللفعل(تولى) لإفادة التعميم في قوله تعالى: {إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى} (طه: 48).

المطلب السادس: حذف المفعول به للفعل(هدى) في مقام الاستدلال على ربوبية الله تعالى، ولإفادة العموم والشمول قي قوله تعالى: {قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى {49} قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (طه:49-50).

المطلب السابع: حذف المفعول به في(لا يضل) و(لا ينسى) للدلالة على **العموم**، والإشارة إلى علم الله تعالى المطلق في قوله تعالى: {قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى {51} قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى} (طه:51-52).

المطلب الثامن: حذف المفعول به للفعل(فكذَّب) و(أبى) للتبكيت، وتسجيل **الفعل** على صاحبه في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى} (طه:56).

المطلب التاسع: حذف المفعول به للفعل (أتى) تصويرا للموقف،وبيانا لتأثير الفعل في قوله تعالى: {فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى} (طه:60).

المطلب العاشر: حذف المفعول به للفعل (افترى)؛ تعظيما لشأن الفعل، وتهويلا لخطورته في قوله تعالى: {قَالَ لَهُم مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى} (طه:61).

المطلب الحادي عشر: حذف المفعول به للفعل(تلقي) و(ألقى)؛ للعلم بالمفعول به، ولإظهار أهمية الفعل في قوله تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى} (طه:65).

المطلب الثاني عشر: حذف المفعول به في(لا تخف) تهوينا للخطب، وعدم الاعتداد بالمفعول به في قوله تعالى: {قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى} (طه:68).

المطلب الثالث عشر: حذف المفعول به للفعل(أتى) للتبكيت وعدم الاكتراث للمفعول به في قوله تعالى: {وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} (طه:69).

المطلب الرابع عشر: حذف المفعول به للفعل(تقضي) بيانا لقوة الموقف في قوله تعالى: {فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} (طه:72).

المطلب الخامس عشر: حذف المفعول به في (ولا تخشى) تثبيتا للنفس في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى} (طه:77).

المطلب السادس عشر: حذف المفعول به للفعل(ألقى) بيانا لضعف النفس وضعف الحجة في قوله تعالى: {فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ} (طه:87).

المطلب السابع عشر: حذف المفعول به للفعل (فنسي) بيانا لشدة التعنت في الضلال في قوله تعالى: {فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ} (طه:88).

المطلب الثامن عشر: حذف المفعول به للفعل (سولت) بيانا لقبح الفعل، واستهجانا لذكره في قوله تعالى: {قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي} (طه:96).

المطلب التاسع عشر: حذف المفعول به للفعل(يتقون) توجيها للتمسك بالفعل في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا} (طه:113).

المطلب العشرون: حذف المفعول به للفعل (فنسي) تحذيرا من الفعل في قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا}(طه:115).

المطلب الحادي والعشرون: حذف المفعول به للفعل(أبى) تنديدا بالفاعل؛ في قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى} (طه:116).

المطلب الثاني والعشرون: حذف المفعول به للفعل(فسبح) و(ترضى)؛ تركيزا على أهمية الفعل في قوله تعالى: {وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى} (طه: 130).

والله تعالى أسأل أن يلهمني الصواب والتوفيق والسداد في القول والفعل، فإن وُفقت فذلك الفضل من الله تعالى، وإن جانبت الصواب فأسأل الله تعالى العفو والمغفرة، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول: تعريف الحذف والمفعول به، وبيان أقسام المفعول به، وبيان مواطن حذفه نحويا.

يعد حذف المفعول به من القضايا المهمة في الدراسات النحوية والبيانية، لا سيما في مجال الدراسات القرآنية البيانية؛ لما يتضمنه هذا الجانب من تجلية للنظم القرآني، وإظهار للدلالات اللغوية العميقة التي تكشف بعض أسرار إعجاز القرآن البياني.

وقد شغلت هذه القضية بال النحاة والبلاغيين، فقدموا فيها جهدهم، وأثروا بتفصيلات هذا الموضوع حيز الدراسات اللغوية؛ إذ بينوا تعريفه وأقسامه وأنواعه، وذكروا علل حذفه وإضماره، وعدوا ذلك من دلائل سعة العربية وتصرفها في الاستعمال اللغوي، وسأعمل في هذا المبحث على ذكر الجانب النظري المتعلق بهذا الموضوع الدقيق، موردا أقوال العلماء فيه، معقبا على هذه الآراء.

المطلب الأول: تعريف الحذف لغة واصطلاحا.

الفرع الأول: الحذف لغة.

دارت معاني الحذف لغة حول الإسقاط وإزالة طرف الشيء، وقد أطلقت في استعمالاتها للدلالة على الجانب الحسي، إلا أنه توسع في استعمالها لتشمل الجانب المعنوي.

قال ابن منظور: (حذف الشيء يحذفه حذفا: قطعه من طرفه) [2].

وقال الرازي: (حذف الشيء: إسقاطه) [3].

وفي أساس البلاغة: (حذف ذنب فرسه: إذا قطع طرفه، وحذف الصانع الشيء: سواه تسوية، حسنه، كأنه حذف كل ما يجب حذفه، حتى خلا من كل عيب وتهذب) [4].

الفرع الثاني: تعريف الحذف اصطلاحا.

ثمة تعريفات متنوعة للحذف وبيان مفهومه من حيث الاصطلاح، فقد عرفه الرماني في رسالة الحدود في علم النحو بأنه(إسقاط كلمة بخلف منها يقوم مقامها). [5]

وعرفه في رسالته النكت في إعجاز القرآن بأنه(إسقاط كلمة للاحتراز عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام). [6]

وقد نبه الباقلاني إلى أن مفهوم الحذف (الإسقاط للتخفيف) [7].

وهنا ينبه الباقلاني على علة الحذف من جهة لفظية، وقد (فهم النحاة العرب هذه الظاهرة فهماً صحيحاً؛ إذا بنوا علم النحو على مبدأ التخفيف والفرق، وهذا مبدأ الاقتصاد اللغوي الذي أثبته اللغويون المعاصرون، وهو يقول إن الإنسان لا يبذلُ من الجهود العلاجية أو الذهنية في إعماله لآلة الخطاب إلا بقدر ما يستطيع إفادة المخاطب، أو بعبارة أخرى أن يبلغ أكبر عدد ممكن من الفوائد بأقل عدد ممكن من الجهود) [8].

وقد عرفه الزركشي بأنه (إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل) [9]، ويعني الزركشي بذلك حذف المفرد وحذف الجملة؛ إذ (الحذف نوعان: الأول: حذف جزء من جملة وهو حذف المفردات، وتكون على صور مختلفة، منها حذف الفاعل وحذف الفعل وحذف المفعول به، وحذف المضاف والمضاف إليه، وإقامة كل واحد منهما مقام الآخر، وحذف الموصوف أو الصفة، وإقامة كل واحد منهما مقام الآخر، وغير ذلك، والثاني: حذف الجمل)[10].

ويفهم من هذه التعريفات جميعا وجود العلة في الحذف وجوازه؛ لوجود ما يدل عليه،وقد أوضح الخطابي بحديثه عن الحذف أنه يعد من البلاغة؛ لأن المذكور يدل على المحذوف والمسكوت عنه من الجواب، ولأن المعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به[11].

ويعرف الحذف من خلال السياق ودلالة العقل والعادة، قال القزويني:)وأدلة الحذف كثيرة منها: أن يدل العقل على الحذف والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف كقوله تعالى:{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ} (المائدة: 3) وقوله: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ} (النساء:23) فإن العقل يدل على الحذف لما مر، والمقصود الأظهر يرشد إلى أن التقدير: حرم عليكم تناول الميتة وحرم عليكم نكاح أمهاتكم؛لأن الغرض الأظهر من هذه الأشياء تناولها ومن النساء نكاحهن، ومنها: أن يدل العقل على الحذف والتعيين،ومنها: أن يدل العقل على الحذف والعادة على التعيين، ومنها: أن تدل العادة على الحذف والتعيين،ومنها: الشروع في الفعل)[12].

ولذلك عد ابن جني الحذف من شجاعة العربية،و قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة،وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه[13].

(وقد التفت النحاة إلى ظواهر الحذف، ووضعوا قواعد مبنية على إدراك الاستعمال العربي، وليس على مجرد التقدير المعتسف،.... ويكاد يوحي كلامهم بشيء قريب من فكرة البنية العميقة عند التحويليين) [14]

المطلب الثاني: تعريف المفعول به:

عرُف النحاة المفعول به تعريفات متعددة، وهي تتفق فيما بينها على أن المفعول به هو ما وقع عليه فعل الفاعل، وأن(الفاعل يصدر منه الفعل ثم يفضي إلى المفعول به بعد ذلك) [15].

إلا أن بعض هذه التعريفات أشمل من بعض، إضافة إلى أن بعضها قد بين أصحابها فيها بيان سر تسمية المفعول به بهذا الاسم، فقد عرفه الرماني بأنه (الذي يتغير بالفعل، نحو كسرت القلم، وقطعت الحبل) [16].

وهنا ينبه الرماني على وجود الأثر على المفعول به، ويعني بذلك الأثر المعنوي، وقد فصل ابن هشام هذا التعلق المعنوي بعد أن عرف المفعول به: بأنه ما وقع عليه فعل الفاعل بقوله (وأقول المراد بالوقوع: التعلق المعنوي لا المباشرة، أَعني تعلقه بما لا يعْقَلُ إلا به، ولذلك لم يكن إلا للفعل المتَعَدِّي) [17].

وسر تسمية المفعول به بهذه التسمية على ما ذكره ابن السراج؛نظرا لما وقع عليه من تأثير الفعل، وأنه حصل لوقوع الفعل من فاعله، حيث قال: (واعلم أن هذا إنما قيل له مفعول به؛ لأنه

لما قال القائل: ضَرَبَ وقتل،قيل له: هذا الفعل بمنْ وقع؟ فقال: بزيدٍ أو بعمروٍ، فهذا إنما يكون في المتعدي) [18].

(وللفعل تعلق بكل من الفاعل والمفعول به، إلا أن الفاعل هو من وقع منه الفعل، والمفعول به هو الذي وقع عليه الفعل، فالفعل هو العامل، وكل من الفاعل والمفعول به معمول لهذا العامل، وإذا اختلفت جهة العمل في كل من المعمولين، فعمله في الفاعل الرفع، وعمله في المفعول به النصب) [19].

وقد ذكر المناوي في تعريف المفعول به بعض التفصيل فقال: (ما يقع عليه فعل الفاعل بغير واسطة حرف جر أو بواسطته)[20]. ومعلوم أن أسباب التعدية ثلاثة: الهمزة، وتضعيف العين،وحرف الجر[21].

والمفعول به أحد المنصوبات وهو واجب النصب لفظا أو محلا، (والذي ينصبه واحد من أربعة الفعل المتعدي ووصفه ومصدره واسم فعله، فالفعل المتعدي نحو {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ} (النمل:16) ووصفه نحو: {إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ} (الطلاق:3) ومصدره نحو: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ} (الحج:40)، واسم فعله نحو: {عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ} (المائدة:105) [22].

المطلب الثاني: أقسام المفعول به

يقسم المفعول به إلى قسمين: صريح وغير صريح؛ (وهو قسمان: ظاهر ومضمر؛ فالظاهرُ ما تقدّمَ ذكرُهُ، والمضْمَرُ قسمان: متّصلٌ، ومنفصلٌ.

فالمتّصلُ اثنا عشر؛ وهي: ضربني، وضربَنا وضربَك، وضربَكما، وضربَكم، وضربَكنّ، وضربَهُ، وضربهَا، وضربهَما، وضربهَم، وضربهَنّ.

والمنفصلُ اثنا عشر؛ وهي:

إيّايّ، وإيّانا، وإيّاك، وإيّاكُما، وإيّاكُم، وإيّاكُنّ، وإيّاهُ، وإيّاها، وإيّاهُما، وإيّاهُم، وإيّاهُنّ) [23].

(والصريح قسمان: ظاهر نحو (فتح خالد الحيرة)، وضمير متصل نحو: (أكرمتك)، أو منفصل نحو: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (الفاتحة:4) وغير الصريح ثلاثة أقسام: مؤول بمصدر بعد حرف مصدري نحو: (أمسكت بيدك)، وقد يسقط حرف الجر فينتصب المجرور على أنه مفعول به ويسمى المنصوب على نزع الخافض فهو يرجع إلى أصله من النصب) [24].

المطلب الثالث: مواطن حذف المفعول به نحويا:

بين النحاة مواضع حذف المفعول به نحويا، على وجه الإجمال والتفصيل، وذكروا لذلك أمثلة توضح ذلك وتقرره، وحذف المفعول به نوع من أنواع الإيجاز؛ أي إيجاز بالحذف، ولا شك في

جواز حذفه إن اقتضاه مقتضى الحال، فإنه يعد من البلاغة، قال ابن عقيل: (المفعول به فضلة، وهي خلاف العمدة، فالفضلة: ما يمكن الاستغناء عنه كالمفعول به، فيجوز حذفه إن لم يضر، فإن ضر حذف الفضلة لم يجز حذفها، كما إذا وقع المفعول به في جواب سؤال نحو أن يقال: من ضربت؟ فتقول: ضربت زيداً أو محصوراً نحو: ما ضربت إلا زيداً، فلا يجوز حذف (زيداً) في الموضعين؛ إذ لا يحصل في الأول الجواب، ويكون الكلام الثاني دالاً على نفي الضرب مطلقاً، والمقصود نفيه عن غير زيد فلا يفهم المقصود عند حذفه) [25]، وكون المفعول به فضلة معناه أنه لا يشكل أحد عناصر الجملة، وإلا فقد يكون مهما في معنى الجملة.

ويذكر النحاة أسباباً لحذف المفعول به من ناحية نحوية، وقد يذكر بعضهم في هذا الصدد أغراضاً بلاغية تتعلق بحذفه، وقد انتقد ابن هشام في مغني اللبيب صنيع هؤلاء قائلاً: (الحذف الذي يلزم النحوي النظر فيه هو ما اقتضته الصناعة، وذلك بأن يجد خبرا بدون مبتدأ أو بالعكس، أو شرطا بدون جزاء أو بالعكس، أو معطوفا بدون معطوف عليه،أو معمولا بدون عامل نحو{لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} (الزخرف:87) ونحو{قَالُواْ خَيْرًا} (النحل:30)، ونحو خير عافاك الله،وأما قولهم في نحو {سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ} (النحل:81) إن التقدير والبرد، ونحو {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ} (الشعراء:22) إن التقدير: ولم تعبدني، ففضول في فن النحو؛ وإنما ذلك للمفسر،وكذا قولهم يحذف الفاعل لعظمته وحقارة المفعول به، أو بالعكس، أو للجهل به، أو للخوف عليه أو منه، ونحو ذلك، فإنه تطفل منهم على صناعة البيان، ولم أذكر بعض ذلك في كتابي جريا على عادتهم)[26]، فوجهة نظر ابن هشام هنا أن على النحوي أن يقف على الأسباب النحوية في حذف الفاعل أو المفعول به ونحو ذلك؛ لأن البحث في الحذف صناعة له تفصيلاته، كما أن الحذف من جهة بلاغية له تفصيلاته عند البلاغيين والمفسرين أيضا، فشأن النحوي أن يقتصر في بحثه على الأغراض النحوية من الحذف؛ حتى لا يفضي به الأمر إلى الاستطراد عن موضوع النحو وقواعده العلمية، ولأن الأغراض البلاغية تحتاج إلى دراسة لأسلوب الكلام ومقتضاه، وليس معنى هذا أنه يفصل بين النحو والبلاغة.

وقد أشار الشريف الرضي إلى قاعدة عامة في حذف المفعول به وامتناع حذفه، وهي أنك إذا استغنيت عنه حذفته وإلا أظهرته[27]، وقد فصل ابن هشام القول في جواز حذف المفعول به وامتناع حذفه بأنه يكون على أحوال، قال ابن هشام: (يجوز حذف المفعول به لغرض؛ إما لفظي كتناسب الفواصل في نحو: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}(الضحى:3)، ونحو: {إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى}(طه:3)، وكالإيجاز في نحو: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا}(البقرة:24)، وإما معنوي كاحتقاره في نحو: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ}(المجادلة:21) أي: الكافرين، أو لاستهجانه.

وقد يمتنع حذفه؛ كأن يكون محصوراً، نحو: "إنما ضربت زيدا"، أو جوابا كـ: "ضربت زيدا" جوابا لمن قال: "من ضربت"[28]. والأصل على ما يظهر أن حذف المفعول به إن أدى إلى إخلال بالمعنى، أو لم يستقم الكلام إلا بذكره امتنع حذفه، وإلا جاز ذلك.

وهناك أسباب لحذف المفعول به أوصلها بعضهم إلى نحو من عشرين موضعاً أو سبباً، وهذه الأغراض لا تعدو أن تكون لفظية أو معنوية، فما حذف من المفعول به (إما أن يكون منويا وإما أن يكون غير منوي؛ بأن يضمن الفعل معنى اللازم)[29].

قال الرازي: (اعلم أن الأفعال المتعدية قد يكون لها مفعولات معينة، وربما لا يكون، والذي يكون له مفعول معين فحاله كحال غير المتعدي في أنك لا ترى له مفعولا لفظا ولا تقديرا، وهو كقولهم: فلان يحل ويعقد، ويأمر وينهى، ويضر وينفع، والمقصود في جميع ذلك: إثبات المعنى في نفسه) [30]، ومعنى ذلك (أن يجعل بعد الحذف نسياً منسياً؛ كأن فعله من جنس الأفعال غير المتعدية، كما ينسى الفاعل عند بناء المفعول به) [31]. وقال الزركشي: (والمفعول به يسمى حينئذٍ مماتاً) [32].

ومما ذكره النحاة من أسباب حذف المفعول به بنوع من التفصيل حذفه بعد فعل المشيئة، وبعد نفي العلم، وكونه عائدا على الموصول،ويحذف كذلك في الفواصل، قال ابن هشام: (حذف المفعول به يكثر بعد لو شئت، نحو {فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ} (الأنعام: 149) أي: فلو شاء هدايتكم، وبعد نفي العلم ونحوه نحو {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ}. (البقرة:12) أي: إنهم سفهاء، {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ} (الواقعة: 85)، وعائدا على الموصول نحو {أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا} (الإسراء: 41)، وجاء في غير ذلك نحو {فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ} (المجادلة:4)، {فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا} (المجادلة:4).أي: فمن لم يجد الرقبة، فمن لم يستطع الصوم، ومن غريبه حذف المقول وبقاء القول نحو {قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ} (يونس: 77) أي هو سحر بدليل (أسحر هذا)، ويكثر حذفه في الفواصل نحو (وما قلى) (ولا تخشى)) [33]. و(إذا كان المفعول به عائداً على اسم موصول كقوله سبحانه: {أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} (البقرة:30)، وفيما ظاهره أن الظرف مفعول به كقوله سبحانه {الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} (الإسراء:10) أي باركنا الأشياء حوله) [34].

و(قد يكون هدفنا الفاعل فحسب، دون النظر إلى المفعول به وكأننا ننزل الفعل منزلة اللازم، واللازم هو الذي يكتفي بفاعله فنتناسى مفعوله، وخير مثال لهذا النمط قوله سبحانه: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (الزمر::9)، فالمراد من الآية – والله أعلم بمراده – أنه لا يستوي أهل العلم وغيرهم مع الجهال، فلا تعني الآية هنا المفعول به، أي الذين يعلمون الفقه أو التفسير أو الحديث، كل الذي تعنيه أن العالمين لا يستوون مع الجاهلين). [35]

المبحث الثاني: الأسرار البيانية لحذف المفعول به في سورة طه

تمهيد

تتعدد أغراض حذف المفعول به من ناحية بيانية بحسب غرض المتكلم وما يقصد إليه من معنى، ويظهر جمال البلاغة وحسنها في مراعاة هذا الأسلوب، قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله -: (فإن الحاجة إليه أمس، وهو بما نحن بصدده، واللطائف كأنها فيه أكثر، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أحب وأظهر)[36].

وقد أوجز السكاكي أغراض حذف المفعول به بوجه عام بقوله (وأما الحالة المقتضية لترك مفعوله، فهو القصد إلى التعميم، والامتناع على أن يقصره السامع على ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار، وأنه أحد أنواع سحر الكلام؛حيث يتوصل بتقليل اللفظ إلى تكثير المعنى كقولهم في باب المبالغة: فلان يعطي ويمنع،ويصل ويقطع،أو القصد إلى نفس الفعل بتنزيل المتعدي منزلة اللازم ذهاباً في نحو: فلان يعطي إلى معنى الإعطاء) [37].

وقد ذكر في كتب البلاغة والمعاني أغراضاً شتى لترك المفعول به وحذفه،مما يظهر براعة العربية وحسن تصرفها في القول بما يطابق مقتضى الحال، ومن تلك المواطن على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: إفادة التعميم مع الاختصار:نحو قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ} (يونس:25)؛ أي يدعو جميع عباده، لأن حذف المفعول به يؤذن بالعموم) [38].

ثانياً: (إذا كان ذكره يوهم غير المقصود تقول: قطعنا المسافة إلى القمة، ويمكن أن يفسر كلامك على أنك قطعت أكثرها، فإن حذفت المفعول به زال هذا الوهم) [39].

ثالثاً: (البيان بعد الإبهام، كما في فعل المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمحذوفه غرابة مثل (إن شئت جئت أو لم أجئ)؛ أي لو شئت المجيء أو عدم المجيء، فعند النطق بـ (لو شئنا علم السامع أنك علقت المشيئة بشيء، فيقع في نفسه أن هنا شيئاً تعلقت به مشيئة بأن يكون أو لا يكون، ومنه قوله سبحانه: {فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} (الأنعام:149).[40]

رابعاً: (إذا كان معلوماً بدلالة الحال: قد يكون المفعول به مقصوداً، ولكننا لا نذكره لكونه معلوماً بدلالة الحال، أو يكون قد جرى له ذكر، ومثال ذلك أن نتحدث عن إنسان ثم يقول لك قائل: أأهنت؟ أضربت؟ فيحذف المفعول به؛ لأنه جرى له ذكر من قبل، وكأنه ينكر أن يكون منك ضرب وإهانة) [41].

خامساً: توجيه النفوس لإثبات الفعل للفاعل وعدم الانشغال بالمفعول به:

قد يكون المفعول به معلوماً لا يتصور غيره،لكننا نحذفه لغرض مهم وقصد بارع، وهو أن تتوجه النفوس لإثبات الفعل للفاعل، كأنما لا نرى داعياً أن نشغلها بالمفعول به؛ لكونه معلوماً من جهة، ولكونه لا يتعلق به كبير فائدة من جهة أخرى، ومثال هذا ما جاء في قوله تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ {23} فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} (القصص:23-24)[42].

قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني: (فيها حذف مفعول في أربعة مواضع؛ إذ المعنى وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم ومواشيهم وامرأتين تذودان غنمهما، لا نسقي غنمنا فسقى لهما غنهما، ثم إنه لا يخفى على ذي بصر أنه ليس في ذلك إلا أن يترك ذكره، ويؤتى بالفعل مطلقاً، وما ذاك إلا أن الغرض في أن يعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقي، ومن المرأتين ذود، وأنهما قالتا: لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء،وأنه كان من موسى -عليه السلام- من بعد ذلك سقي، فأما ما كان المسقي أغنما أم إبلاً أم غير ذلك، فخارج عن الغرض وموهم خلافه؛ وذاك أنه لو قيل: وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما،جاز أن يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود، بل من حيث هو ذود غنم، حتى لو كان مكان الغنم إبل لم ينكر الذود، كما أنك إذا قلت: مالك تمنع أخاك؟ كنت منكراً المنع لا من حيث هو منع، بل من حيث هو منع أخيك، فاعرفه تعلم أنك لم تجد لحذف المفعول به في هذا النحو، من الروعة والحسن ما وجدت إلا لأن في حذفه وترك ذكره فائدة جليلة، وأن الغرض لا يصلح إلا على تركه) [43].

سادساً: تعظيماً لشأن المفعول به: قد لا يوقع الفعل على المفعول به صراحة تعظيماً لشأنه، ومثاله {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} (الضحى:3)، وحذف المفعول به هنا كراهة أن يقع القلي والبغض صراحة على ضمير النبي -عليه السلام-، فإن قلت: فلم ذكر مفعول التوديع (ودعك) أليس في ذلك كراهة؟ قلت: لا، فإن التوديع أمر معروف مشتهر بين الناس وبخاصة بين الأحبة، فليس بمستهجن أن يودع الحبيب حبيبه) [44].

(وفيه من اللطف والتعظيم ما لا يخفى، فإن الوداع إنما يكون بين الأحباب ومن تفارقه)[45]، ومن ذلك أيضاً التأدب في القول واستهجان ذكر المفعول به [46]، والبيان بعد الإبهام[47] وغيرها. وبعد فهذه بعض مواطن حذف المفعول به وبعض فوائده البلاغية، وهي جديرة بالدراسة والبحث في القرآن الكريم وسنة الرسولﷺ.

وفي هذا المبحث سأتناول الآيات التي ورد فيها حذف المفعول به في سورة طه، وأحاول دراستها بلاغياً بما يتناسب وسياق الآيات، وقد بلغ عدد هذه المواضع في السورة اثنين وعشرين موضعاً، وأشرع الآن متوكلاً على الله –تعالى- في بيان ما أنا بصدد البحث فيه:

المطلب الأول: حذف المفعول به للفعل (يخشى) للتركيز على الفعل في قوله تعالى: {طه{1}مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى {2} إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى {3} تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى}(طه، 1-4).

يظهر حذف المفعول به في قوله سبحانه (يخشى) وتقديره: الله تعالى أو عقابه، والذي يبدو أن سر حذفه هنا؛ لأجل التركيز على موضوع الخشية، وقد يتنزل الفعل منزلة اللازم بحيث يُتناسى مفعوله؛ إذ إن الخشية هي الثمرة الحقيقية للتنزيل، والفائدة المرجوة للمنزل عليهم.

قال الألوسي: (لمن شأنه أن يخشى الله تعالى، ويتأثر بالإنذار لرقة قلبه ولين عريكته، أو لمن علم الله تعالى أنه يخشى بالتخويف) [48].

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن مفعول الخشية مذكور في الآيات وهو (تنزيلاً)، فيكون تنزيلاً منصوب يخشى على المفعولية، وقد رد أبو السعود هذا الرأي بقوله: (وأنت خبير بأن تعليق الخشية والخوف ونظائرهما بمطلق التنزيل غير معهود) [49].

والمراد بهذا أن الخشية لا تكون من التنزيل، بل من متعلقاته كالوعيد ونحوه،ومثال ذلك قوله تعالى: {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ} (ق: 45)، ولدى تتبع كثير من آيات التنزيل يظهر أن الخشية إنما تكون في جناب الله تعالى.

وقد أضاف الألوسي رداً آخر على من جعل تنزيلاً هو المفعول به،فضلاً على ما جاء به أبو السعود، إذ قال: (يخشى رأس آية فلا يتناسب أن يكون تنزيلاً مفعوله) [50].

وهذا تعليل يمكن مناقشته؛ لأن كون الكلمة رأس آية لا يمنع أن يكون لها تعلق بما بعدها كمثل قوله سبحانه: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ {219} فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاء اللّهُ لأعْنَتَكُمْ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (البقرة:219-220)، فكون الفعل هنا رأس آية لم يمنع اتصاله بغيره من الناحية النحوية، وهذا يسمى عند العلماء بالوقف الحسن، وهو: (الذي يحسن الوقف عليه, ولا يحسن الابتداء بما بعده) [51].

وعلى هذا فإن (تنزيلاً) يستبعد أن يكون مفعولاً ليخشى، ولكن ليس من باب كون يخشى رأس آية، بل للاعتبارات التي ذكرت قبل.

ويمكن توجيه الحذف للمفعول به هنا؛ ليفيد من لزمته صفة الخشية، وبذلك تذهب النفس مذاهب شتى في تقدير المفعول به، بما يتناسب مع شأن الخشية التي يوليها النظم القرآني عناية بالغة.

المطلب الثاني: حذف المفعول به للفعل (أهش) رعاية لمقام الأدب في الخطاب في قوله تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى {17} قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} (طه:17-18).

هنا حذف المفعول به للفعل (أهش)، وتقديره: ورق الشجر أو الأغصان، وهذا الفعل لا يتعدى بنفسه بل بحرف الجر. وفي هذه الآية جواب عن سؤال سأله رب العزة جل وعلا لسيدنا موسى عليه السلام على سبيل الإيناس له، قال الزمخشري: (وقالوا: إنما سأله ليبسط منه، ويقلل هيبته) [(52)]. وقد أطال موسى-عليه السلام- في الحديث (ولو قال عصاي لأجزأه ذلك، وإنما أراد أن يزداد شرفا وتفضلا بإطالة الحديث في مناجاة ربه) [(53)].

وهنا تساؤل: بما أن المقام مقام تلذذ في الخطاب، فلماذا أطال موسى من جهة وهي ما ذكر آنفاً، وأوجز من جهة أخرى حيث حذف المفعول به في (أهش)؟

الذي يظهر - والله تعالى أعلم- أن هناك أكثر من قضية في حذف المفعول به هنا، أما القضية الأولى فإن المفعول به معلوم واضح لا حاجة إلى ذكره،فالتفت إلى ما هو أهم منه؛ لأنه أدرك أن مفعول الهش ليس هو المسؤول عنه،فلو ذكره لكان هذا تفريعاً ثانوياً خارجاً عن المبتغى واستطراداً في غير محله.

أما القضية الثانية: فإن حذف المفعول به هنا نم عن أدب جم في الخطاب تحلى به سيدنا موسى-عليه السلام-؛ ذلك أن الهش (هو الخبط، والمعنى: أخبط الشجر ليتناثر ورقه فترعاه الغنم) [(54)]، وقد يتعدى الأمر الورق إلى غيره فيكون الخبط للهوام ونحوها فتتعدد المفعولات، فلو ذكر كل هذه المفعولات، لأدى به أن يذكر ما لا يليق ذكره في كلامه مع الله تعالى، ولصرف الوقت في ما لا فائدة في تعيينه، وهذا أسلوب رفيع في الكلام، والله أعلم بأسرار كتابه.

وقد يكون في حذف المفعول به ما يفيد لفت الأنظار وتوجيهها إلى الفاعل، إذ المقصود هو لفت نظره إلى العصا، وهذا يكون منسجماً مع مقتضى المقام.

المطلب الثالث: حذف المفعول به للفعل (يتذكر) وللفعل(يخشى) لإبراز العناية بالفعل، وبيان أنه هو المقصود بالذات في قوله تعالى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى {44} قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى} (طه:44-45).

يلاحظ هنا أن المفعول به للفعلين (يتذكر) و(يخشى) حذفا، والتقدير: يتذكر قدرة الله تعالى عليه، أو يخشى عقابه وبطشه سبحانه؛ وفي حذف المفعول به سر بياني؛ ذلك أن المقصود، والهدف المنشود من هذه الدعوة:التركيز على هذين الفعلين لأهميتهما، ولإبراز العناية بشأنهما، قال الشهاب: (التذكر والخوف داعيان إلى الإيمان، إلا أن الأول للراسخين المتحققين صدق

الأنبياء -عليهم السلام- ولذا قدم، والخشية لمن يتوهمه، فالمعنى باشراه رجاء تحقق فرعون صدقكما فيتذكر ويتعظ أو يتوهمه فيخشى) [55].

ويلاحظ هنا التركيز على جانبين مهمين في الشخص المدعو: جانب يتعلق بالفعل وهو التدبر، لأن من شأنه تقليب الفكر، وجانب آخر يتعلق بالقلب وهو الخشية، وعلى هذا فإن من الحكمة أن يهتم الداعية بالجانب العقلي للمدعو والجانب العاطفي، وهذا ما حصل من سيدنا موسى وأخيه -عليهما السلام- في دعوتهما لأعتى العتاة، وأكثرهم قسوة في العقل والقلب؛ إذ أتياه من بابين عظيمين لو دخل من أحدهما لتأتى له ما هو خير.

المطلب الرابع: حذف المفعول به في (لا تخافا) و(أسمع وأرى) لتوطين النفس، وتثبيت القلب، وبيانا لعناية الله تعالى بسيدنا موسى وأخيه – عليهما السلام- في قوله تعالى: {قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} (طه:46).

حذف المفعول به هنا في (لا تخافا)و(أسمع وأرى)، والتقدير: لا تخافا أن يفرط عليكما فرعون أو أن يطغى، إنني معكما أسمع القول، وأرى ما يحدث، وبالنظر في السياق يتضح أن مفعول الخوف معلوم؛وهو ما أبداه موسى وهارون -عليهما السلام- من تهيبهما من فرط فرعون وظلمه، وهذا يدخل في الأمر دخولاً أولياً، لكن لمزيد من طمأنينة الله تعالى لموسى وهارون – عليهما السلام- حذف المفعول به؛ لنفي ما وقع في قلبيهما وغيره مما هو أشد وأثقل؛ وجاء ذلك مصحوباً ببيان العلة لذلك (إنني معكما أسمع وأرى)، فالمعية معية الحفظ والرعاية والعناية، فلا ينبغي أن يكون خوف مهما كان مصدره أو وقعه، قال ابن عاشور: ((لا تخافا))، أي لا تخافا وقوع شيء من الأمرين، وهو نهي مكني به عن نفي وقوع المنهي عنه، وجملة (إنني معكما) تعليل للنهي عن الخوف الذي هو في معنى النفي، والمعية معية حفظ، و(أسمع وأرى) حالان من ضمير المتكلم، أي أنا حافظكما من كل ما تخافانه، وأنا أعلم الأقوال والأعمال، فلا أدع عملاً أو قولاً تخافانه، ونزل فعلا (أسمع وأرى) منزلة اللازمين؛ إذ لا غرض لبيان مفعولهما، بل المقصود: إني لا يخفى علي شيء) [56].

وقد ذهب شيخ زاده إلى أنه يقتضي أن يقدر المفعول به عاماً؛بأن حذف المفعول به قصداً للتعميم مع الاختصار[57].

وهذا موقف فيه بث الطمأنينة في النفس، وإمداد الدعاة بالأمن والثقة بحصول الرعاية والعناية الإلهية، فموسى وأخوه -عليهما السلام- خافا أن يفرط عليهما فرعون؛ أي يجاوز الحد في طغيانه نظراً لما هو عليه من سوء الخلق، وغلاظة الطبع، وقسوة الفؤاد، وقد أسهم حذف المفعول به في أداء هذه الرسالة، فقوله سبحانه (لا تخافا) لم يذكر فيه المفعول به تنبيهاً لعدم الاعتداد به؛ أي كأنه شيء حري أن لا يذكر، وهو شيء لا وزن له ولا يحسب له حساب؛ لأنهما

محفوفان برعاية السميع البصير الذي لا يضل ولا ينسى، وهي دعوة لاستعلاء الإيمان في النفوس والإقدام بجرأة، ونبذ التردد الذي يحول دون الوصول إلى البغية المنشودة في الدعوة إلى الله تعالى.

وتغييب ذكر المفعول به في (أسمع وأرى) أوقع للطمأنينة في النفس، وأبعد أثراً فيها من ذكرهما؛ لما أن الحفظ شامل من كل قول وعمل من شأنه أن يمسهما بسوء، ومما يدل على هذا المعنى التعبير بـ (لا تخافا)؛ لأن المسألة مسألة نوازع نفسية، فالشخص غير مخوف من ذاته؛ بل من جهة سطوته وسطوة حاشيته، بينما يلحظ في قوله سبحانه (لعله يتذكر أو يخشى) أن الخشية لا تكون إلا في جناب الله تعالى الذي تخشى ذاته ويخشى فعله.

وقد جوز الزمخشري أن يقدر في (أسمع) و(وأرى) المفعول: أقوالكم وأفعالكم، وجوز أن لا يقدر شيء على اعتبار تنزيل المتعدي منزلة اللازم[58].

وهذا أيضاً يعني أن الأقوال والأفعال التي تكون أثناء هذه الدعوة تدخل دخولاً أولياً في ما يشمله (أسمع) و(أرى).

المطلب الخامس: حذف المفعول به للفعل (كذَّب) وللفعل(تولى) لإفادة التعميم في قوله تعالى: {إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى} (طه: 48).

حذف المفعول به في هذه الآية للفعل (كذَّب) وللفعل(تولى)، والتقدير: كذَّب الحق أو الرسل، وتولى عن اتباع الحق أو الرسل، والفعل كذَّب قد يتعدى بنفسه دون واسطة من حرف، وقد يتعدى بواسطة حرف الباء، وقد ذهب أبو السعود إلى تعديه هنا بالباء، حيث قال: (كذب بآياته تعالى وتولى عن قبولها) [59].

وفيما يظهر أن التعدية بهذا الحرف مشعرة بحالة المكذب؛ إذ كذب مستهيناً بها غير مكترث لها أو ما شابه ذلك، وفي التعدية بذات الفعل من دون وساطة، وإيقاعه على الآيات إشارة إلى أن الفعل من ديدن فاعله ودأبه،من دون أن يكون هناك تريث في حكمه، ويظهر لي أن حذف المفعول به هنا ليفيد التعميم، أي أن التكذيب كان عاماً في كل ما أتى به الرسول، وكل ما من شأنه أن يوصل إلى طريق الحق والرشاد، ولإظهار من هذه صفته لكونه علة لوقوع العذاب عليه.

المطلب السادس: حذف المفعول به للفعل (هدى) في مقام الاستدلال على ربوبية الله تعالى، ولإفادة العموم والشمول قي قوله تعالى: {قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى {49} قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (طه:49-50). حذف المفعول به للفعل (هدى)، وتقديره: الخلق، وقد جاء هذا في مقام إثبات الربوبية، وإقامة الحجة على فرعون الذي ادعى الربوبية، قال ابن عاشور: (حكاية جواب فرعون عن الكلام الذي أمر الله موسى وهارون-

عليهما السلام- بإبلاغه فرعون، ففي الآية حذف جملة دل عليها السياق قصداً للإيجاز، والتقدير: فأتياه فقالا له ما أمرا به، فقال: فمن ربكما؟)[60]. وكانت إجابة موسى -عليه السلام -الاستدلال على إثبات الربوبية بدليل الإتقان فكل شيء في خلقه متناسق وفق الحكمة الإلهية، (فقد أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به على المفعول به الأول خلقه، أو أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به)[61].

(ثم هدى): وهنا حذف المفعول به ليفيد العموم في جميع الكائنات والممكنات، وهي دعوة إلى التفكر في جوانب الهداية هذه؛ لأنها مسألة حرية بأن يتوقف عندها لما لها من أثر في الإرشاد إلى معرفة كمال الهادي، وفي التركيز على القضية تنبيه لفرعون؛ كي يتذكر ما كان قد نسيه كي يطامن من غطرسته،ويتذكر نقصه متنبهاً إلى كمال خالقه.

ولهذه الآية نظير هو قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى {2} وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى} (الأعلى:1-2)، وهذه أفعال حذفت مفاعليها، وفيها تركيز على أفعال الله -عز وجل - وكيفية تصرفه في الخلق،وبيان لمربوبية الخلق له سبحانه، فجرى الاهتمام هنا بشأن الأفعال لا بشأن المفعول؛ لأنها أعظم وأكبر، وفي هذا الجانب دعوة إلى تحريك العقل لدى المخاطب، وتقليب النظر ليصل إلى ما يصل إليه العقلاء، وهذا الذي هدفت الآية إليه (لعله يتذكر أو يخشى).

يقول الدكتور إبراهيم عوض: (وقد حذف المفعول به في قوله (هدى) ليكون الكلام مطلقاً، فيشمل كل شيء تصدق عليه كلمة الهداية، ومن ثم لا داعي لتخصيص الكلام بشيء معين)[62].

المطلب السابع: حذف المفعول به في(لا يضل) و(لا ينسى) للدلالة على العموم، والإشارة إلى علم الله تعالى المطلق في قوله تعالى: {قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى {51} قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى} (طه:51-52).

في هذا الموضع من السورة حذف المفعول به في (لا يضل) و(لا ينسى)، والتقدير:شيئا، والأظهر أن الفاعل يعود إلى لفظ الجلالة، قال أبو حيان: (والظاهر أن الضمير في (ولا ينسى) عائد على الله، وقيل: يحتمل أن يعود على الكتاب لا يدع شيئاً، فالنسيان استعارة كما قال: (إِلَّا أَحْصَاهَا) (الكهف:49) فأسند الإحصاء إليه من حيث الحصر فيه) [63]

والذي يظهر أن الضمير عائد على لفظ الجلالة كما قال أبو حيان؛ لأن المقام إثبات الربوبية، فناسب عود الضمير عليه- جل شأنه-.

والسر في حذف المفعول به هنا للدلالة على التعميم، أي لا يخطئ ربي شيئاً ولا ينساه وفي هذا (إشعار بعلة الربوبية، فإنها مما يقتضي عدم الضلال والنسيان حتما) [64].

وهذا يدل على أن علم الله تعالى مطلق، ويدل على علمه لكل صغيرة وكبيرة، وفي هذا أيضاً نوع من أنواع الوعيد، من حيث تذكيره بأن لا يضل عن أفعاله ولا ينساها، ويفهم من هذا التعريض بسلوك فرعون وأعماله التي قام بها، فلا يظن أنها تمضي دون تسجيل ورصد، وفي كلمة الضلال تلويح بعدم عدالة فرعون وغفلته، وحث له على العمل بمقابلها، كما أن كلمة النسيان تنبه فرعون إلى بشريته، وكان الأحرى به أن لا ينازع في مقام لا يصلح أن يُنازع فيه؛إذ هو شيء من الأشياء التي خلقها الله في الأرض، وهداها إلى وظيفتها.

وفي حذف المفعول به ما يشير إلى أن عدم النسيان صفة لازمة له سبحانه، فحذف المفعول به أعم وأشمل في التعبير، إذ ليس من شأنه سبحانه النسيان.

يقول الدكتور محمد الخفاجي: (وجاءت إجابة موسى-عليه السلام- تشتمل ضمناً معنى الإنكار على فرعون الذي سأله عن أشياء لا يعلمها البشر، بل هي في علم الرب الأعظم، {قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى} (طه:52)، وتسجل إجابة موسى على هذا السؤال مظاهر القدرة الإلهية، وصفات الرب الخالق، وهي صفات العلم والإحاطة التامة بكل ما وقع وما سيقع في هذا الكون، والله تعالى منزه عن النسيان، وهي آفة بشرية، وكل ما جرى في الكون محفوظ ومسجل لا يضيع ولا ينسى) [(65)].

المطلب الثامن: حذف المفعول به للفعل(فكذب) و(أبى) للتبكيت، وتسجيل الفعل على صاحبه في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى} (طه:56).

حذف المفعول به هنا للفعلين (فكذب وأبى)، والتقدير:كذب الحق أو الرسل، وأبى قبول الحق، قال أبو السعود: (أبى أن يقبل شيئاً منها أو أبى قبول الحق) [(66)].

وفي حذف المفعول به في (فكذب) و(أبى) سر يكشف عن طبيعة نفسية فظيعة لفرعون، حيث تظهر طبيعة النفس المتجبرة غير المنصاعة إلى الحق، فهو يأبى أي ميزان من موازين المنطق الصحيح، ويبعد بعداً عظيماً في الإعراض، ويأبى قبول أي عرض للدعوة التي جاء بها موسى وهارون -عليهما السلام-، وقد علمنا المحذوف من دلالة الحال ومقام الآيات.

وقد جاءت آية أخرى تصف فرعون بأنه كذب وعصى، قال الله تعالى: {فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى {20} فَكَذَّبَ وَعَصَى} (النازعات:20-21) والمعنى: حصل منه التكذيب والعصيان، وكان ذلك وصفاً من جملة أوصافه الشائنة التي عرف بها، ولأن هذه الأوصاف استقرت في نفس فرعون نظراً لكونه مغروراً معجباً برأيه معتداً بنفسه، ولا ريب أن هذا التعالي جعله يدعي ما لا يدعيه غير العقلاء، وهذا شأنه في جميع الأحوال، لا أن ذلك ناشئ عن نقص في دليل أو آية أو برهان، بل إن شأنه التكذيب والإباء.

المطلب التاسع: حذف المفعول به للفعل (أتى) تصويرا للموقف، وبيانا لتأثير الفعل في قوله تعالى: {فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى} (طه:60).

حذف المفعول به هنا للفعل (أتى)، والتقدير: الموعد أو المكان، أخذا من قوله تعالى: {فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى}(طه:58)، والمعنى:(ثم أتى) أي الموعد ومعه ما جمع من كيده) [67]. وفي تغييب ذكر المفعول به فيما يظهر فائدة،وهي تسليط الضوء على حالة الزهو التي جاء بها فرعون، فقد غاب فترة ثم أتى بصورة من لديه القدرة على تحقيق إنجاز عظيم، وهو أن يغلب موسى وأخيه -عليهما السلام-، ولأجل هذا جرى الاهتمام بالفعل؛ لأن صورة الإتيان أثرت في نفوس المنتظرين، وهيئة القادم تعكس جانباً من شخصيته، لا سيما أن الموقف كان موقف تحدٍ وإثبات من هو الأظهر، وهذا يتناسب مع الحالة التي ذكرها القرآن عنه فيما تقدم من عدم اتباع الحق.

المطلب العاشر: حذف المفعول به للفعل (افترى)؛ تعظيما لشأن الفعل، وتهويلا لخطورته في قوله تعالى: {قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى} (طه:61).

حذف المفعول هنا للفعل(افترى)، وتقديره: كذبا،وقد نزل الفعل منزلة اللازم بحيث تنوسي مفعوله، والمعنى من حصل منه الافتراء، لأن الافتراء بحد ذاته كبيرة فكيف في هذا المقام، فهي إذن (دعوة للارعواء والتنهي عن التمادي في ما هم عليه، أو لأنه قد تقدم ذكر مفعوله وهو (كذباً)[68] ويبدو أن المقصود العموم في الافتراء، قال أبو السعود: (أفترى: أي على الله كائناً من كان بأي وجه كان، فيدخل فيه الافتراء المنهي عنه دخولاً أولياً، أو قد خاب فرعون المفتري فلا تكونوا مثله في الخيبة،والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله) [69].

ولا شك أن التركيز على النهي عن هذا الفعل من دون تعيين مفعوله مناسب لهذا الاحتشاد الضخم، فالمقصود بيان أن هذا العدد، وذلك الاحتشاد والجمع الغفير في إثبات الباطل وما هم عليه لا يقوم على أساس.

المطلب الحادي عشر: حذف المفعول به للفعل(تلقي) و(ألقى)؛ للعلم بالمفعول به، ولإظهار أهمية الفعل في قوله تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى} (طه:65).

حذف المفعول به في هذا الموضع من السورة للفعل (تلقي) و(ألقى)، وتقديره: تلقي العصا، وتقديره في (ألقى): الحبال والعصي، قال أبو السعود: (أي ما نلقيه أولاً على أن المفعول محذوف لظهوره، أو تفعل الإلقاء أولاً،على أن الفعل منزل منزلة اللازم، وإما أن نكون أول من ألقى ما يلقيه، أو أول من يفعل الإلقاء) [70].

يلاحظ أن المفعول به حذف للعلم به من جهة، ولأن المقام مقام منازلة وتحد، فإنهم عمدوا إلى ابتداء تلك المنازلة بإثبات الثقة بأنفسهم؛إذ بادروا بتوجيه السؤال له بتقديمه عليهم في الإلقاء، وهذا يدل على مقدار اعتدادهم بصنعتهم، وقد أعان على هذا حذف المفعول به؛إذ في حذفه إشارة إلى عدم الاهتمام بما يلقيه موسى -عليه السلام-من جهتهم، وأنه لا يشكل أمراً مهماً بالنسبة لهم.

ويلوح لي أمر آخر في سر حذف المفعول به هنا، ذلك أن القوم كانوا مندفعين للمنازلة،فهم على تعجل وسرعة من أمرهم؛ ليثبتوا لفرعون وللناس ما هم عليه من براعة، فلا مجال لتفصيل الكلام، لذا استغنوا عن ذكر ما هو معلوم لعدم الحاجة لبيانه لاستدعاء الموقف ذلك،وقد ذكر الزركشي توجيهاً لطيفاً في هذه الآية، قال رحمه الله: (وفيه دليل على أنهم أحبوا التقديم في الإلقاء؛ لعلمهم بأنهم يأتون بسر عظيم يقرر عظمته في أذهان المخاطبين، فلا يرفعها ما يأتي بعدها من زعمهم، فإن قيل: ما وجه هذا الإطناب؟ الجواب من وجهين: أحدهما لفظي: وهو المزاوجة لرؤوس الآي على سياق خواتيمها من أول السورة إلى آخرها، والثاني معنوي: وهو أنه سبحانه أراد أن يخبر عن قوة أنفس السحرة واستطاعتهم عند أنفسهم على موسى-عليه السلام- فجاء عنهم باللفظ أتم وأوفى في إسنادهم الفعل إليه)[71]. وهذا توجيه لطيف لولا ما ذهب إليه من أن رؤوس الآيات غرض بلاغي يستقل برأسه، وهذا لا يوافق عليه؛ لأن سورة طه لم تختم آياتها جميعا بفاصلة على نسق واحد، فقوله تعالى: {فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ} (طه:78) لم تختم بالألف كغيرها من الآيات، وهذا يدل على أن الفاصلة ليست هي السر البلاغي في حذف المفعول به في الفعل(ألقى).

ويمكن أن يكون هناك توجيه آخر لحذف المفعول به يتوافق مع موقف الأدب الذي ظهر من السحرة تجاه موسى -عليه السلام- حسبما ظهر لبعض المفسرين، قال القونوي: {إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى} أي بعد مراعاة الأدب حيث قدموه على أنفسهم، وهذا أولى مما قيل إنها لإظهار جلادتهم؛ لعلمهم بأن آياتهم أعظم) [72].

المطلب الثاني عشر: حذف المفعول به في (لا تخف) تهوينا للخطب، وعدم الاعتداد بالمفعول به في قوله تعالى: {قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى} (طه:68).

حذف المفعول به في (لا تخف)، والتقدير: كيدهم أو صنعهم، وقد جاء حذف المفعول به هنا زيادة في تأمين موسى -عليه السلام- مما يخاف، فالموقف الشديد يوقع في النفس المهابة والهلع، ولم يذكر المفعول به هنا لعدم الاعتداد به؛ لينصرف إلى ما هو أهم منه، وهي دعوة للاستعلاء على ما هو حري أن لا يلتفت إليه، قال الشهاب: (لا تخف، بمعنى: لا تخف بعد هذا،ولا تستمر على خوفك الأول، وليس معناه أن لا يتصور منك خوف أصلاً كما هو ظاهره

لوقوعه بحسب الجبلة، ولذا قيل: إن النهي عن معناه للتشجيع، وتقوية القلب لا للنهي عن الخوف المذكور في قوله (خيفة)؛ لأنه ليس اختيارياً) [73].

ومما يرشح المعنى الذي ذكرت أن التعبير جاء بالنهي عن الخوف لا عن الخشية؛ لأن هذا خوف طبيعي، فلا ينبغي أن يقف حائلاً دون الوصول إلى المبتغى، فالمخوف أمر مهما بلغ هنا،ليس جديراً أن يمنع سيدنا موسى -عليه السلام- من الإقدام على ما عزم عليه.

المطلب الثالث عشر: حذف المفعول به للفعل (أتى) للتبكيت وعدم الاكتراث للمفعول به في قوله تعالى: {وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} (طه:69).

يلاحظ أن المفعول به للفعل (أتى) محذوف وتقديره:عمله أو مكانه، وقد حذف المفعول به؛ لأن المراد الاهتمام بهذه الحيثية، لا كما قال ابن عاشور: (أي لا ينجح الساحر حيث كان،لأن صنعته تنكشف بالتأمل وثبات النفس في عدم التأثر بها، واختير فعل أتى دون نحو: (حيث كان) أو (حيث حل)؛ لمراعاة كون معظم أولئك السحرة مجلوبين من جهات مصر، وللرعاية على فواصل الآيات الواقعة على حرف الألف المقصورة، وتعميم (حيث أتى) لعموم الأمكنة التي يحضرها؛ أي بسحر) [74]، ومع تقديري لهذا الرأي إلا أن فيه بعداً، لأنه لا بد من التفرقة بين (جاء) و(أتى) فجاء تقال في الأعيان، وأتى في المعاني والأمور المعنوية[75]، فالساحر يهدف إلى الإتيان بما يبطل الحق، والحق أمر معنوي ليس محسوساً، وليس شيئاً من الأعيان، والمعنى: لا يفلح الساحر حيث أتى كل الطرق لمقارعة الحق وإذهابه، والله أعلم.

المطلب الرابع عشر: حذف المفعول به للفعل (تقضي) بيانا لقوة الموقف في قوله تعالى: {فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} (طه:72).

هنا المفعول به للفعل (تقضي) محذوف، وتقديره:ما تهوى أو تعمل، قال الألوسي: (ومفعوله محذوف، أي تصنع ما تهواه، أو تحكم بما تراه في هذه الحياة الدنيا فحسب، وجوز أن ينزل الفعل منزلة اللازم فلا خوف)[76].

والذي يظهر بالنظر إلى مقام الآية، وطبيعة الموقف الذي تعبر عنه الآية أن حذف المفعول به منسجم مع الحالة التي هم عليها – أعني المؤمنين من سحرة فرعون_ فالمقام مقام استعلاء الإيمان في نفوس هؤلاء المؤمنين، إذ إنهم لم يكترثوا لما توعدهم به فرعون لما تشبثوا به من الحق ولما عاينوه، وقد أدى حذف المفعول به هذه الرسالة؛ إذ بين عدم اعتدادهم بما أعده فرعون لأجلهم نقمةً عليهم، وأظهر أنه قليل الشأن عندهم، فهو شأن حري أن لا يذكر، وقمن أن لا يلتفت إليه إلى جانب السمو الروحي والعقدي، الذي أتى به وقت أن عرفوا الحق ووقع في قلوبهم، ومما يؤكد هذا المعنى التعبير بالاسم الموصول (ما) الذي أفاد التحقير من شأن

المتوعد به، ولا ريب أن هذا يكشف بجلاء قوة موقفهم ورباطة جأشهم وثباتهم، ثم إن ذلك الأسلوب قابل الغطرسة الفرعونية حيث ظن أنه سيملك أرواحهم فضلاً عن أنه يملك أجسادهم، ولكن جوابهم فيه تصغير وتهوين لشأن العذاب، والتفات إلى ما هو أعظم وأرقى لتحقيق معنى رفيع، لم يسبق لفرعون أن رأى مثله.

المطلب الخامس عشر: حذف المفعول به في (ولا تخشى) تثبيتا للنفس في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى} (طه:77).

في هذا الموضع من السورة حذف المفعول به، وتقديره: غرقا أو دركا،ومما يلاحظ هنا أن الآية ذكرت الخوف والخشية في موضع واحد، وذكرت أيضاً مفعول الخوف ولم تذكر مفعول الخشية، وقدره الطبري(لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك، ولا تخشى غرقا من بين يديك ووحلا) [77]،وقال الثعلبي: ((ولا تخشى)غرقا من البحر أمامك) [78]، وكذا قدره أبو حيان بقوله: (لا تخشى غرقاً) [79]،وإلى مثله ذهب جلال الدين المحلي[80]، وقد جعل الرازي التقدير بما يدل على عمومه، إذ التقدير عنده(لا تخاف أن يدركك فرعون؛ فإني أحول بينك وبينه بالتأخير)[81].

وبما أن الخشية أبلغ من الخوف، فإن النهي عن الخشية دون ذكر مفعولها أبلغ في دفع الاضطراب والقلق عن نفس موسى عليه السلام،؛ إذ في ذلك طمأنة له من كل وجه، وتسكين لقلبه من كل ما ينازع النفس من فزع أو مهابة.ونلاحظ أن متعلق الخشية ليس ذاتاً؛ إذ هو أمر الغرق؛ لأنه إن صاروا إليه فبظنهم أن إدراك فرعون لهم أهون عليهم من ذلك المصير.

المطلب السادس عشر: حذف المفعول به للفعل (ألقى) بيانا لضعف النفس وضعف الحجة، في قوله تعالى: {فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ} (طه:87).

حذف المفعول للفعل(ألقى) هنا، والتقدير: أثر الرسول؛ أخذا من قوله تعالى: {فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا} (طه:96) قال الشهاب: (الذي ألقاه السامري هو تراب أثر فرس جبريل وما قذفوه من الحلي، وأيده بعضهم بتغيير الأسلوب إذ لم يعبر بالقذف المتبادر منه أن ما رماه جرم مجتمع، وفيه نظر).[82] وهذا التوجيه منظور فيه إلى ما أفصح السامري عنه حين قال: {فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا} (طه:96).

ويظهر أن ههنا ميزة ودقة للعربية في اللفظ والمعنى، ذلك أن القذف أمر مختلف عن الإلقاء، وفيه معنى زائد عن الإلقاء؛ إذ الإلقاء (طرح الشيء حيث تلقاه أي تراه)[83]، والقذف أبلغ منه إذ هو (الرمي البعيد) [84].

وبما أن الفتنة كان أساسها السامري فليس بالضرورة أن يباشرها بنفسه بالقوة التي تحصل ممن وقعت فيهم، فالإلقاء حصل منه، إذ دلهم به على الفعل وفتح لهم الطريق، وكان منهم القذف الذي هو الرمي بعنف؛ ليدل على إصرارهم وما كبتوه في أنفسهم من حبهم لعبادة آلهة من دون الله؛ لأن هذا الأمر بقي في قلوبهم بدلالة قوله سبحانه: {وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ} (البقرة:93) و{قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} (الأعراف:138).

فحذف المفعول به بين من خلال هذا المقام سخف القوم، وإصرارهم على الباطل، من دون التروي والتثبت من حقيقة ما يصنعون، وأظهر عجزهم في إبداء الحجة بإلقاء اللائمة على المسبب.

المطلب السابع عشر: حذف المفعول به للفعل (فنسي) بيانا لشدة التعنت في الضلال في قوله تعالى: {فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ} (طه:88).

في هذه الآية حذف المفعول به للفعل(فنسي)، وتقديره: إلهه،ويظهر حذف المفعول به دلالة على تعنت أصحاب العجل في ضلالهم وغيهم (وفي هذا أعظم دلالة على تخلخل العقيدة في نفوسهم وانعدام نورها، فكيف يصلح في عقل عاقل أن يجعلوا العجل إلهاً ولموسى كذلك، وأن يبادروا فيصفوا موسى بالنسيان، والقرآن يصور ذلك بلمحات سريعة خاطفة معبرة،منها هذه الواو – واو الجماعة – (فقالوا)، فلم يصدر هذا القول إذن عن السامري وحده،بل اشتركوا فيه جميعاً، ثم هذه (الفاء) (فنسي) كأنهم أرادوا أن يثبتوا ذلك دون تريث) [85].

ويلاحظ أن كلمة (فنسي) لم يحدد فيها الفاعل والمفعول به؛ لأن هذا يتلاءم مع نفوسهم؛ إذ برغبتهم أن يغيب موسى فلا يرجع، وبودهم أن لا يذكرهم بربهم، فضلاً عن أن لا يجري له ذكر بين ظهرانيهم، حتى لا يكون لذلك مدخل في ترك ما هم عليه.

ويلوح لي في حذف المفعول به هنا أمر آخر: ذلك أنه إذا نظرنا إلى الافتراء الذي افتراه هؤلاء، يظهر أن هذه دعوى قامت على جانبين: الجانب الأول: ادعاء وجود إله غير الله تعالى وبحضرة أناس موحدين، الجانب الثاني: ادعاء أن موسى -عليه السلام- اتخذ إلهاً من دون الله، لكن هذا الجانب يبدو أنهم لم يستطيعوا أن يقنعوا به جميع الناس، فلم يجدوا من صفة لسيدنا موسى-عليه السلام- تنفر من اتباع كلامه؛ كي يجدوا مسوغاً لاتخاذهم العجل إلا صفة النسيان، وفي هذا تهمة لموسى -عليه السلام – من قبلهم،وتلبيس على الناس، وإيهامهم أنه خدعهم مدة طويلة،وأخفى عنهم الحقيقة قبل أن يهتدوا إليها. وهذا أمر يوافق طبيعتهم غير المنصاعة للأوامر الإلهية.

المطلب الثامن عشر: حذف المفعول به للفعل (سولت) بيانا لقبح الفعل، واستهجانا لذكره في قوله تعالى: {قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي} (طه:96).

حذف المفعول به للفعل (سولت)، وتقديره:صنع العجل، والتسويل: (تزيين النفس لما تحرص عليه وتصوير القبيح منه بصورة الحسن)[86]، ويؤخذ تقدير المفعول به من سياق الكلام،قال الطبري(يقول: وكما فعلت من إلقائي القبضة التي قبضت من أثر الفرس على الحلية، التي أوقد عليها حتى انسبكت، فصارت عجلا جسدا له خوار، (سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي)، يقول: زينت لي نفسي أن يكون ذلك كذلك) [87] وقدره النسفي بالفعلة التي فعلها[88] وقدره البقاعي ب(نبذها في الحلي) [89]، وقدره أبو السعود بالقبض والنبذ، حيث قال: (أي: ما فعلته من القبض والنبذ) [90].

والظاهر أن الذي سولته نفس السامري له أمر معلوم؛وهو فعلته النكراء، وأحجم عن ذكره شعوراً منه بقبحه وشدة إفساده، لأنه به استحق اللوم واستوجب الوعيد، فهو يعلم أن ما سيذكر مستهجن ومستبشع، وهنا يسلط الضوء على دور النفس في التزيين، وإبراز الرذيلة بصورة الفضيلة، وهكذا يبدأ المنكر ثم يشيع بعد ذلك،وهو ما كان في هذا الموقف.

المطلب التاسع عشر: حذف المفعول به للفعل(يتقون) توجيها للتمسك بالفعل في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا} (طه:113).

حذف المفعول به هنا في كلمة (يتقون)، وتقديره: المعاصي، أو الآثام، أو عقاب الله تعالى، والأظهر أنه حذف تنزيلا له منزلة اللازم؛لأن المقصود حصول هذا الفعل وتحققه ولتذهب النفس فيه كل مذهب.

وقد قدر بعض المفسرين المفعول به هنا بالشرك، قال السمرقندي: (يعني: لكي يتقوا الشرك) [91].

وقدره ابن كثير تقديرا عاما؛ حيث قال: (أي: يتركون المآثم والمحارم والفواحش) [92] وقد نزل أبو حيان الفعل منزلة اللازم قائلا: (أي: ليكونوا على رجاء من يوقع في قلوبهم الاتقاء، أو يتقون أن ينزل بهم ما نزل بمن تقدمهم) [93].

وقدر البيضاوي المفعول به خاصا، فقال: (لعلهم يتقون المعاصي،فتصير التقوى لهم ملكة، أو يحدث لهم ذكرا: عظة واعتبارا حين يسمعونها فتثبطهم عنها، ولهذه النكتة أسند التقوى إليهم والإحداث إلى القرآن) [94].

والذي تطمئن إليه النفس عد هذا الفعل من قبيل اللازم؛ لأن حصول التقوى في القلوب تدفع الشرك، وترشد إلى ترك الآثام والمحارم والفواحش وما أشبه ذلك، وأن هذا الفعل _ التقوى_ غاية في ذاته، وفي هذا تحفيز لهمة المخاطب للوصول إلى هذه الغاية.

المطلب العشرون: حذف المفعول به للفعل (فنسي) تحذيرا من الفعل في قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا}.(طه:115).

حذف المفعول به للفعل (فنسي)، وتقديره:عهدنا. والسر البياني لحذف المفعول به هنا أن في ذكره نوع من التعريض بصنيع آدم -عليه السلام -وإيقاعا باللائمة عليه،وقد أعان على هذا المعنى أيضاً اختيار الفعل (نسي) في هذا المقام، قال البقاعي: (عهدنا وأكل منها مع علمه من تلك العظمة، بما لا ينبغي أن ينسى معه ذلك العهد المؤكد بذلك الإجلال، فعددنا عليه وقوعه في ذلك المنهي ناسياً ذنباً لعلو رتبته عندنا، فهو من باب (حسنات الأبرار سيئات المقربين)، فكيف فوق ذلك) [95].

(والسورة تذكر بني آدم بالدرس المنسي، وهو التوجيه الذي علمه الله –سبحانه- للإنسان عند خلقه له، وتوضح له أن نجاحه أو فشله النهائي إنما يعتمد على موقفه من هذا التوجيه) [96].

و(يلحظ في السورة الكريمة التنديد والوعيد المتعلقين بظاهرة النسيان، وهي فكرة ترددت عدة مرات، وقد أشارت السورة إلى التوابع الجسيمة التي لحقت أو ستلحق بالناسين) [97].

المطلب الحادي والعشرون: حذف المفعول به للفعل(أبى) تنديدا بالفاعل؛ في قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى} (طه:116).

حذف المفعول به للفعل(أبى)، وتقديره: السجود، قال الجمل: (أبى عن السجود، أفاد أن مفعول (أبى) مراد، وقد صرح به في الآية الأخرى في قوله سبحانه: {أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} (الحجر:31)، وحسن حذفه هنا كون العامل رأس فاصلة، ويجوز أن لا يراد ألبتة، وأن المعنى أنه من أهل الإباء والعصيان من غير نظر إلى متعلق الإباء ما هو) [98].

ومع تقديري لهذا الرأي، فالذي يبدو لي أن قوله سبحانه: {أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} نُظر فيه إلى الفعل – الإباء عن السجود- مع مجموعة الملائكة الذين تميزوا عنه بإطاعة ربهم-جل وعلا-، فالمفعول به على هذا مراد من جهة بيان شذوذه عنهم.

أما هنا في سورة طه، فإن المنظور فيه هو توفر العناية بالفعل والتركيز عليه، على اعتباره علة في عدم السجود؛ لما يكشفه من خبايا النفس وطواياها عند إبليس اللعين؛ لأن هذه طبيعته

المتمردة، فالفعل هنا سلط الضوء على الجانب النفسي لإبليس، وأما كون العامل رأس فاصلة فهذا ليس تعليلاً مناسباً، والله أعلم.

المطلب الثاني والعشرون: حذف المفعول به للفعل(فسبح) و(ترضى)؛ تركيزا على أهمية الفعل في قوله تعالى: {وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى} (طه: 130).

في هذه الآية حذف لمفعولين الأول: المفعول به للفعل(فسبح)، وتقديره: ربك أو اسم ربك، والثاني: المفعول به للفعل (ترضى)،وتقديره: الثواب، والظاهر أن التركيز على هذين الفعلين؛ لأنهما مقصودان بالذات، فالأول سلوك، والثاني نتيجة يفضي إليها ذلك السلوك، فالتسبيح وهو إظهار لتنزيه المخلوق للخالق- جل وعلا- ينبغي أن يسير مع حركة الحياة، وأن يكون ديدناً للمخلوق، لا يفتر عنه، وإذا استعرضت الآيات التي ورد فيها فعل التسبيح يظهر أن بعضها ذكر فيه المفعول به من نحو قوله تعالى{إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} (الأعراف:206)، إلا أن الأغلب في استعمال هذا الفعل أن يأتي متعديا بحرف الجر الباء، ومن ذلك قوله تعالى: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} (البقرة: 30)، {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ} (الحجر:98)، {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} (الإسراء: 44)، {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ} 0 (الفرقان: 58)، {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} (الواقعة: 96)، وقد ورد في آيات أخر إطلاق الفعل من غير ذكر لمفعوله من نحو قوله تعالى: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} (الأنبياء: 20)، {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ} (الإسراء:44)، {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(الحديد:1،الحشر:1، الصف: {يسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} (الجمعة: 1)، {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} (الأعلى: 1)، وبالنظر إلى هذه الأفعال التي تعدت بحرف الجر الباء يظهر أنها أفعال لم تذكر مفعولاتها، بل جاءت مقترنة بالباء لبيان حال التسبيح؛ أي ليكون التسبيح متلبساً بحمد الله تعالى، فالمفعول به معلوم بدلالة الحال، ولكن إبراز هذا الفعل والديمومة عليه والاستمرار به هو الشأن الأهم، لذا لم يذكر مفعوله.

قال الزمخشري:((بحمد ربك) في موضع الحال،أي: وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه، والمراد بالتسبيح الصلاة، أو على ظاهره، قدم الفعل على الأوقات أولاً، والأوقات على الفعل آخرا، فكأنه قال: صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر، وقبل غروبها يعني الظهر والعصر، لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها، وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصا لهما بصلاتك) [(99)].

وأما المفعول به للفعل (ترضى)، فيظهر سر تركه في أن حصول الرضا هو غاية في نفسه، ومنتهى المطمح في ذاته، فحصول الرضا بفضل الله تعالى يغني عن ذكر ما سواه من النعيم

والثواب والجنات والسعادة، فللنفس أن تتصور ما تشاء من صور الرضا وأنواعه،بعد أن تتشبع بلذة الحصول عليه كرما وتلطفا من الله تعالى عليها.

ولعل هذا التصور يعين عليه ما ورد في كتاب الله تعالى في غير ما موضع، من إطلاق كلمة الرضوان من غير مفعولها من نحو قوله تعالى: {وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ} (التوبة: 72)، {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ} (القارعة:7)، {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} (الضحى:5)، تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن: (ونرى مع هذا أن في تحديد العطاء جوراً عليه، والأليق بجلال الموقف أن يكتفى فيه بالرضى على ما أراد البيان القرآني، فوق كل تحديد، ووراء كل وصف). (100)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، فبعد هذه الدراسة لهذا الموضوع يمكن أن أسجل بعض النتائج التي خلصت إليها، وهي ما يأتي:

أولاً: هناك مظاهر للحذف في سورة طه، ولكن اللافت للنظر والشأن الأبرز هو حذف المفعول به للفعل المتعدي بنفسه والفعل المتعدي بحرف الجر، وإن كان حذف المفعول به للفعل المتعدي بنفسه أكثر وروداً في هذه السورة.

ثانياً: عرض الباحث لموضوع حذف المفعول به نحوياً من الناحية النظرية؛ حيث تم الحديث فيها عن معنى الحذف ودلالته على سعة العربية،و عرض فيها لمعنى المفعول به وتسميته بهذا الاسم، نظراً للتعلق المعنوي بين الفعل والمفعول به، وتطرق الباحث إلى أقسام المفعول به من حيث كونه صريحاً أو مضمرا، وذكر أغراض حذف المفعول به عند النحاة، وذكر أحوال حذفه جوازاً، وأحوال ذكره وجوباً.

ثالثاً: عرض الباحث لأغراض حذف المفعول به بيانياً في ثنايا الحديث عن الأسرار البيانية في حذف المفعول به في سورة طه، وانطلق في دراسته من سياق الآيات وموضوعاتها ولتقدير المفعول به المحذوف، ونظر في الناحية اللفظية والمعنوية للفعل الذي تطلب مفعولا به، ووقف على بعض أسراره البلاغية، راجعاً إلى آراء المفسرين والبلاغيين مبدياً رأيه مناقشاً مرجحا.

رابعاً: تنوعت الأغراض البيانية لحذف المفعول به في سورة طه، وظهر للباحث أسباباً متعددة لحذف المفعول به في هذه السورة، ومن ذلك: التركيز على الفعل وإثباته في نفسه؛ نظراً لأهميته والعناية به، ومن ذلك أيضاً رعاية الأدب في الخطاب، وتوطين النفس وتثبيت القلب، وإفادة التعميم، ومن ذلك الحذف للتبكيت، ومنه الحذف لتصوير الموقف والحدث بتسليط الضوء على الفعل، ومنه الحذف لتهوين شأن الحدث والخطب وعدم الاعتداد بالمفعول به،

وكذلك الحذف للتنويه بشأن الموقف وبيان أثره وقوته، ومن ذلك أيضا التنويه بضعف النفس وضعف البرهان، وكذلك الحذف لبيان شدة التعنت في الفعل السيئ، وبيان قبح الفعل واستهجان ذكره، ومنه أيضا التنديد بالفاعل لحصول الفعل الشائن منه، وكذلك الحذف لبيان التحذير من الفعل.

خامساً: لدى الدراسة والبحث، ظهر أن المفسرين في تنبيههم على حذف المفعول به في هذه السورة، كانوا يركزون على تقدير المفعول به باختصار، ويشيرون إلى بعض الأغراض البلاغية إشارة، وقد درس الباحث هذه الإشارات، وعرضها على سياق الآيات، فعمل على توسيع مدلولاتها، وأضاف عليها، وناقش بعضها، ورجح بعض الآراء وظهر له أغراض أخرى لحذف المفعول به، بينها استكمالاً لأطراف الموضوع وإثراءً لمضامينه؛ بغية تقديم دراسة فيها تفصيل وبيان لهذا الموضوع المهم.

سادسا: يكشف حذف المفعول به عن قيم نفسية واجتماعية نفيسة،يستفيدها المتمعن بهذا الأسلوب البلاغي الدقيق؛ إذ يشتمل هذا الأسلوب على توجيهات اجتماعية وخلقية وأدبية، وهذه يمكن معرفتها وبيانها من خلال دراسة السياق القرآني.

وبعد، فهذا جهد المقل، واسأل الله تعالى أن يتقبله مني، وأن يجعله في ميزان أعمالي الصالحة خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

The Metaphorical Purposes of Omitting the Object during Taha Surah

Zakaryia A. Al-khader, *Department of Usul Addin, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This study aims at showing the features of omitting the object in Taha surah, and also it goes to explain the miraculous expression of this issue in Quranic usage.

The research studies the coordinating between the omitting of the object and the aims of Taha surah by analyzing the accurate purposes of Quranic composition in this surah, moreover there are many aspects of language and rhetoric will be appeared through this paper, in addition to the social advantages and psychological values in this kind of Quranic method.

قدم البحث للنشر في 2013/10/10 وقبل في 2014/5/6

الهوامش:

(1) إبراهيم عوض، سورة طه:دراسة لغوية أسلوبية، ص124.

(2) ابن منظور، لسان العرب،(39/9).

(3) الرازي،مختار الصحاح، (27/5)

(4) الزمخشري، أساس البلاغة، ص118

(5) الرماني، الحدود في علم النحو، ص3.

(6) الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص76.

(7) الباقلاني، إعجاز القرآن، ص268.

(8) الدكتور نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ص 87.

(9) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (102/3).

(10) د. أحمد مطلوب، معجم مصطلحات البلاغيين، ص 206 – 209 بتصرف.

(11) ينظر: الخطابي، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص52.

(12) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 184-185 بتصرف واختصار.

(13) ينظر: ابن جني، الخصائص،(2/ 360).

(14) الدكتور عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص 150 – 152 باختصار.

(15) أبو البقاء العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، (135/1).

(16) الرماني، الحدود في علم النحو، ص11.

(17) ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص278.

(18) ابن السراج، الأصول في النحو، (171/1).

(19) أ. د فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها: علم المعاني، ص 275.

(20) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص669، وينظر: الزمخشري،المفصل في صناعة إعراب،ص85، والسيوطي،معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم،ص82.

(21) المطرزي، المغرب في ترتيب المعرب، (2/ 405) وينظر: ابن جني، اللمع في العربية، ص51.

(22) ابن هشام، شرح شذور الذهب،، ص 199.

(23) الأجرومي، متن الأجرومية،، ص6.

(24) الغلاييني، جامع الدروس العربية (3/ 5).

(25) ابن عقيل، شرح ابن عقيل، (1/ 492 – 493)،وينظر في ذلك: ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، (271/1-272).

(26) ابن هشام، مغني اللبيب، (176/2).

(27) الشريف الرضي، شرح الرضي على الكافية، (206/1).

(28) ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، (184/1).

(29) الرضي، شرح الرضي على الكافية، (344/1).

(30) الرازي، نهاية الإيجاز في نهاية الإعجاز، ص337.

(31) الزمخشري، المفصل في صناعة الإعراب، ص 79.

(32) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، _(3/ 176).

(33) ابن هشام، مغني اللبيب، ص829-830 بتصرف يسير.

(34) د. عبد الفتاح الحموز، التأويل النحوي، ص 260- 262.

(35) الدكتور فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، ص 276.

(36) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 127.

(37) السكاكي، مفتاح العلوم، ص230، وينظر:القزويني، الإيضاح،(122/2)، ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، (122/2)، بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح،(2/ 122).الدسوقي، حاشية الدسوقي على شرح السعد (122/2).

(38) التفتازاني، مختصر االسعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، ص167، وينظر:الدكتورعبد العزيز عتيق،علم المعاني، ص130.

(39) أ. د. فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ص 277.

(40) عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتخليص المفتاح، (1/ 219)، الدكتور أحمد مطلوب، البلاغة العربية، ص 117.

(41) الدكتور فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ص 278

(42) الدكتور فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ص279.

(43) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 131، وينظر الزمخشري، الكشاف، (3/ 405)، عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح، (1/ 328)، الدكتور محمود السيد، روائع الإعجاز في القصص القرآني، ص 327.

(44) الدكتور فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، ص 285.

(45) القونوي، حاشية القونوي على البيضاوي، (315/20-316).

(46) السكاكي، مفتاح العلوم، ص230.

(47) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (238/3)، وينظر التفتازاني، مختصر السعد شرح كتاب مفتاح العلوم،ص168.

(48) الألوسي، روح المعاني، (16/ 150).

(49) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (6/4).

(50) الألوسي، روح المعاني، (16/ 151)..

(51) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (260/1).

(52) الزمخشري، الكشاف، (3/ 59).

(53)الدكتور محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآني، ص328.

(54) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ،(61/5)، وينظر الشوكاني، فتح القدير، (456/3).

(55) الشهاب الخفاجي،عناية القاضي وكفاية الراضي،(352/6).

(56) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (16/ 126).

(57) شيخ زاده، حاشية الشيخ زاده على البيضاوي، (621/5) وينظر:الدكتور محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآني، ص328.

(58) ينظر الزمخشري، الكشاف، (3/ 67- 38)..

(59) ينظر:أبو السعود، إرشاد العقل السليم،(19/6).

(60) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (16/ 231)

(61) الزمخشري، الكشاف، (3/ 68).

(62) الدكتور إبراهيم عوض، سورة طه: دراسة لغوية أسلوبية، ص 80.

(63) أبو حيان، البحر المحيط،249/6).

(64) أبو السعود،إرشاد العقل السليم،(21/6).

(65) الدكتورمحمد علي الخفاجي، رؤية فنية لنص قرآني: دراسة تحليلية سيميائية جمالية، ص21.

(66) أبو السعود، إرشاد العقل السليم،(23/6).

(67) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،(24/6)، وينظر الشوكاني، فتح القدير، (456/3).

(68) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (6/ 24).

(69) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (6/ 24).

(70) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 6/ 26).

(71) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (4/ 411).

(72) القونوي، حاشية القونوي على البيضاوي، (381/12).

(73) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي، (6/ 24).

(74) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (260/16-261).

(75) ينظر في ذلك السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (623/1).

(76) الألوسي، روح المعاني، (16/ 226).

(77) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (343/18).

(78) الثعلبي، الكشف والبيان،(255/6)، وينظر الخازن،لباب التأويل،في معاني التنزيل، (276/4).

(79) أبوحيان، البحر المحيط، (245/6).

(80) المحلي، تفسير الجلالين، ص214.

(81) الرازي، مفاتيح الغيب، (80/22).

(82) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي، (6/ 89).

(83) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص508، السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، (38/4).

(84) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص444، السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، (286/3).

(85) الدكتور فضل عباس،القصص القرآني، ص290.

(86) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، (2/ 273).

(87) الطبري، جامع البيان،(363/18).

(88) النسفي، مدارك التنزيل، (66/3).

(89) البقاعي، نظم الدرر، (42/5).

(90) أبو السعود، إرشاد العقل السليم،(6/ 39).

(91) السمرقندي، بحر العلوم، (413/2)، وذهب إلى هذا المحلي في الجلالين(المحلي، تفسير الجلالين، ص416.

(92) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (203/3).

(93) أبو حيان، البحر المحيط،(205/6).

(94) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،(72/4).

(95) البقاعي. نظم الدرر، (5/ 50- 51).

(96) الدكتور إبراهيم عوض، سورة طه دراسة لغوية أسلوبية، ص80.

(97) الدكتور محمد الخفاجي، رؤية فنية لنص قرآني، ص45.

(98) الجمل، الفتوحات الإلهية، (114/3).

(99) الزمخشري، الكشاف، (96/3-97)، وينظر النسفي، مدارك التنزيل، (78/2).

(100) الدكتورة عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن، (40/1).

قائمة المصادر والمراجع:

ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، **الأصول في النحو**، تحقيق: د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثالثة، 1988م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، من دون طبعة وتاريخ للنشر.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، **اللمع في العربية**، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، من دون طبعة، 1972م.

ابن عاشور، محمد بن الطاهر، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر،1984. ومؤسسة الرسالة، بيروت،ط1/ 1420-2000م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت،ط1، من دون تاريخ للنشر.

ابن هشام، عبد الله جمال الدين بن يوسف، **أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك**، دار الجيل، بيروت، ط5، 1979م.

ابن هشام، عبد الله جمال الدين بن يوسف، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، تقديم: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1417هـ- 1996م.

ابن هشام، عبد الله جمال الدين بن يوسف، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، دار الفكر، بيروت، 1985م، وطبعة مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، من دون طبعة، من دون تاريخ للنشر.

ابن يعقوب المغربي، **مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح**، دار الإرشاد الإسلامي، بيروت، من دون طبعة، من دون تاريخ للنشر.

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي.

أبو حيان، محمد بن يوسف،، **البحر المحيط**، تحقيق عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ - 1993م.

الأجرومي، **متن الأجرومية**، من دون طبعة وتاريخ للنشر.

الألوسي، محمود بن عبد الله،، **روح المعاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، من دون طبعة وتاريخ للنشر.

الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن**، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ط1، 1991م.

البقاعي، إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي،القاهرة، ط1413،1ه-1992.

البيضاوي، عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التاويل**، دار الفكر،بيروت، من دون طبعة،من دون تاريخ للنشر.

التفتازاني، سعد الدين، **مختصر السعد شرح كتاب مفتاح العلوم**، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1423ه-2003.

الثعلبي، أحمد بن محمد، **الكشف والبيان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1422-2002م.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، **دلائل الإعجاز**، دار الكتاب العربي- بيروت، ط1، 1995م.

الجمل، سليمان بن عمر العجيلي، 1204ه، **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**، ضبط: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ - 1996م.

الحموز، عبد الفتاح أحمد، **التأويل النحوي في القرآن الكريم**، مكتبة الرشد، الرياض، 1984م.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار الفكر، بيروت،1399-1979م.

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد البستي، **بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تحقيق: الدكتور محمد خلف الله والدكتور محمد سلام زغلول، دار المعارف، مصر،ط1968،2 م.

الخفاجي، الدكتور محمد علي رزق، **رؤية فنية لنص قرآني: دراسة تحليلية سيميائية جمالية**، دار المعارف، القاهرة،ط2، 1994 م.

الراجحي، عبده، **النحو العربي والدرس الحديث**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، من دون طبعة، 1979م.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة، 1415-1995م.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، **مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421-2000م.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، تحقيق: بكري الشيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985 م.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، ضبط: إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004.

الرماني، أبو الحسن بن علي بن عيسى، **الحدود في علم النحو**، من دون طبعة وتاريخ للنشر.

الرماني، أبو الحسن بن علي بن عيسى، **النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تحقيق: الدكتور محمد خلف الله والدكتور محمد سلام زغلول، دار المعارف، مصر، ط2، 1968م.

الزركشي، محمد بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، من دون طبعة، 1391.

الزمخشري، محمود بن عمر، **أساس البلاغة**، من دون طبعة، من دون تاريخ للنشر.

الزمخشري، محمود بن عمر، **الكشاف**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1997م.

الزمخشري، محمود بن عمر، **المفصل في صناعة الإعراب**، دار ومكتبة الهلال، ط1، 1993

السبكي، بهاء الدين أحمد بن تقي الدين، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، دار الإرشاد الإسلامي، بيروت،دون طبعة، دون تاريخ للنشر.

السكاكي، محمد بن علي، **مفتاح العلوم**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ-1983.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم، **بحر العلوم**، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

السمين الحلبي، أجمد بن يوسف بن عبد الدائم، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ-1996.

السيد حسن، محمود، **روائع الإعجاز في القصص القرآني**، المكتب الجامعي، الإسكندرية، من دون طبعة،من دون تاريخ للنشر.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**، تقديم مصطفى البغا، دار ابن كثير – دمشق، ط3، 1416هـ- 1996م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، تحقيق: أ.د محمد إبراهيم العبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر،ط1، 1424-2004م.

الشربيني، محمد بن أحمد, **السراج المنير**، دار الكتب العلمية، بيروت، من دون طبعة وتاريخ للنشر.

الشريف الرضي، **شرح الرضي على الكافية**، من دون طبعة، من دون تاريخ للنشر.

الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر، **عناية القاضي وكفاية الراضي**، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1997م.

الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1420هـ-1999.

شيخ زاده، محيي الدين، **حاشية الشيخ زاده على البيضاوي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419 هـ -1999.

الصعيدي، عبد المتعال، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز،من دون طبعة، من دون تاريخ للنشر.

الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420-2000م.

عباس، فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها: علم المعاني**، دار الفرقان، عمان، ط3، 1413 هـ - 1992م. .

عباس، فضل حسن، **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**، دار الفرقان، عمان، ط2، 1413هـ - 1992م.

عبد الرحمن، عائشة، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ط5.

عتيق، عبد العزيز، **علم المعاني**، دار النهضة العربية، بيروت، دون طبعة، 1405هـ-1985م.

العقيلي، عبد الله بن عقيل، **شرح ابن عقيل**،المكتبة العصرية- بيروت 1415 هـ 2001م.

العكبري، أبو البقاء محب الدين عبدالله بن الحسين، **اللباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى،1995م.

عوض، إبراهيم، **سورة طه: دراسة لغوية أسلوبية**، دار النهضة العربية الطائف 1416 هـ-1995م.

الغلاييني، مصطفى، **جامع الدروس العربية**، المكتبة العصرية، بيروت، ط1422،39هـ-2001.

القزويني، محمد بن سعد الدين بن عبد الرحمن، **الإيضاح لتلخيص المفتاح**، دار الإرشاد الإسلامي، بيروت، من دون طبعة،من دون تاريخ للنشر.

القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد، **حاشية القونوي على البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ-2001.

المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، **تفسير الجلالين**، دار الحديث-، القاهرة، ط1،، من دون تاريخ للنشر.

المطرزي، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي، **المغرب في ترتيب المعرب**، تحقيق: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب،ط1979،1م.

مطلوب، أحمد، **البلاغة العربية**: المعاني، البيان، والبديع، ط1، 180 منشورات وزارة التعليم العالي.

مطلوب، أحمد، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 1996م.

المناوي، محمد عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر , دار الفكر - بيروت , دمشق، ط2، 1410.

الموسى، نهاد، **نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1400ه- 1980م.

النسفي، عبد الله بن أحمد، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1415هـ-1995م.